

تيار الوعي في القصة القرآنية
سورة يوسف أنموذجاً

Stream of Consciousness
in the Quranic story
Sura Yusuf model

مقدم من

م.د. لمياء حسين علي

جامعة بغداد - كلية العلوم الاسلامية

م.م. عباس عبد الكريم صالح

وزارة التربية العراقية



تيار الوعي في القصة القرآنية

سورة يوسف أنموذجاً

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث يكشف عن ظاهرة (تيار الوعي) في القرآن الكريم، متخذاً من سورة يوسف (عليه السلام) أنموذجاً للدراسة، فقد جمع البحث في طياته فناً أدبياً يجمع بين الدراسة النفسية والأدبية مطبقاً بعض تقنيات تيار الوعي على شخصيات القصة بحسب ورود الشاهد فيها.

ولا يخفى على المعنيين بشؤون اللغة ما للفظه من أثر في توجيه السياق، وتصوير المعنى الدقيق عند دراسة النص القرآني، وإنعام النظر فيه. فضلاً عن بيان الأثر الصوتي، ومناسبته للفظه عند ورودها في شاهد تيار الوعي وأثر تناسق الألفاظ في رسم المعنى الدقيق، وإيصاله إلى المتلقي.

مجلة كلية العلوم الإسلامية
تيار الوعي في القصة القرآنية سورة يوسف أنموذجاً

المقدمة:

الحمدُ لله ربَّ العالمين المنعم علينا بالقرآن العظيم، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين
وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد

فهذه الدراسة حاولت أن تُظهر أحد الفنون الأدبية المسَمَّى (تيار الوعي) مطبقاً بعض
تقنياته في القصة القرآنية متخذاً من سورة يوسف (عليه السلام) أنموذجاً.

ولأن القصة فنٌّ متكاملٌ وهي في القرآن الكريم ليست عملاً مستقلاً في موضوعه كما هو
الشأن في أي قصة مكتملة الجوانب الفنية، وعليه كان للقصة القرآنية أهداف ترسمها شخصيات
تمثل صفوة الخلق وهم الأنبياء (عليهم السلام) وقد تساق على لسان غيرهم من الناس.

وإذا اردنا الحديث عن القصة، وخصائصها، وأغراضها فليس لها في البحث نصيب؛ لأن
تفاصيلها يطول شرحها في هذا المقام.^(١)

إنَّ الانقلاب الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم منذ نزوله، وإلى اليوم في أفكار الناس،
وطباعهم جعل منه معيناً لا ينضب لكل دارس، وأما الحديث عن قصة يوسف مدار بحثنا فإن لها
مزية تخصها عن سائر القصص القرآنية؛ لأنها القصة الوحيدة في القرآن الكريم التي عرضت حياة
النبي يوسف (عليه السلام) من طفولته حتى بلوغه رجلاً يملك خزائن مصر، فضلاً عن شخصيات تعرضت
لها القصة على تعددها، إلا أن المقام آل بها في نهاية القصة إلى السعادة والرضا، بما قدره الله
تعالى.

تبدأ أحداث القصة برؤيا يراها طفل صغير وهو يوسف (عليه السلام)، ويقصّها بعفوية على أبيه؛
لتكون بعدها أحسن القصص.

لقد انتظمت البحث في موضوعين تناول الأول دراسة إحدى الفنون الأدبية الذي يُسمَّى
تيار الوعي، معرّفاً له عند الباحثين، ومبيّناً لتقنياته مع تطبيقات التيار على شواهد السورة، وجاء
الثاني مبيّناً تقارب الصوت والمعنى ودلالاته.

مجلة كلية العلوم الاسلامية
تيار الوعي في القصة القرآنية سورة يوسف أنموذجاً

تيار الوعي وتقنياته:

إن تيار الوعي هو التفكير العميق الذي تتألف منه الشخصية، عزفه العالم النفسي "وليم جيمس" في كتابه "مبادئ علم النفس" عام ١٨٩٠ بقوله: (تيار الوعي هو التجربة العقلية والروحية من جانبيها بالماهية والكيفية، وتشتمل الماهية على أنواع التجارب العقلية من أحاسيس وذكريات، وتشتمل الكيفية على ألوان الرموز والمشاعر، وعمليات التداعي)^(٢).

وهناك من نظر إلى تيار الوعي على أنه انسيابية للأفكار في موقف متأزم وصف بأنه التفكير العميق الذي تتألف منه الشخصية، وكذلك هو فكرة الفكرة، أي أن لكل شخص فكرة الفكرة، منفصلة عن شخص آخر، حيث يكون الوعي بينهما بشكل فكرة نادرة لا يمكن للشخص استرجاعها، بل يبدأ مباشرة بفكرة جديدة^(٣).

فضلاً عن أن هناك فرقاً بين تيار الوعي واللاوعي، إذ يركز تيار الوعي على ضمير (الأنا) النفسي، أما تيار اللاوعي فنجدّه يظهر في بعض الأفعال والأحلام والمعتقدات والأمراض.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تيار الوعي يختلف من شخص إلى آخر بحسب شخصيته، وتزاحم الأفكار في ذهنه، وتواردها بصورة غير منتظمة، وهنا نرى أن الوعي الإنساني؛ (هو عملية تطور، وتشكيل لا تتوقف، ومن ثم فكل إنسان لا يملك شخصية ثابتة، ولا طبيعة، أو هوية قائمة لا تتغير، بل يملك بدلاً من ذلك شعوراً يفيض بضروب التغيير والتقلب والتفقد والتفاعل عن طريق تيار من الذكريات والانطباعات الحسية، والصور، والتوترات، فأطلق عليها تيار الوعي)^(٤).

ونتيجة لتسلسل تيار الوعي، وعدم منطقيته، لم يفرق الكثير من الدارسين بينه وبين تقنياته، أو يخلط بينهما لذا وجب التعرف على تقنياته ومنها:

١ - المونولوج الداخلي (Interior Monologue)

هذا المصطلح يستعمل مع تقنية تيار الوعي على نحو صحيح بوصفه مصطلحاً تطبيقياً بلاغياً في الدراسات الأدبية الحديثة، ومن الباحثين من رأى أن المونولوج قد عرف منذ القدم ربما

منذ التراجيدية الإغريقية التي كان البطل المنكوب يحدث نفسه فيها ويعيش مأساته، انه الحديث عن الداخل بلغة الخارج. (٥).

وينقسم المونولوج على مباشر وغير مباشر، فالمباشر هو الذي يلجأ إليه المتحدث إلى ضمير المتكلم، أما غير المباشر فهو استعمال ضمير الغائب والمخاطب (يتداخل المونولوج غير المباشر مع "تقنية مناجاة النفس"، ويكون الخطاب في هذه التقنية موجهاً إلى الشخصية نفسها، ولهذا فإن تيار الوعي في مناجاة النفس يكون أكثر ترابطاً منه في المونولوج الداخلي المباشر) (٦).

٢- التداعي الحُرّ

تقنية التداعي الحر يمكن فهمها على أنها، (خاصة من خواص الوعي الذي يتداعى بأفكار، أو صور متداخلة حيناً ومناسبة بفتنة حيناً آخر، أو فكرة وصورة) (٧).

وقسم بعض الباحثين التداعي على قسمين:

الأول: تداعي الأفكار الذي يربط كلمة بكلمة.

الثاني: تداعي الموضوعات التي تشير إليها الأفكار الذهنية، ومن أهم صفاتها الاتصال الممتد في الزمان والمكان المشابه.

وتشمل طريقة التداعي قسمين:

الأول: تجمع الصور والأفكار عن طريق الاستيطان الذهني.

الثاني: البحث عن أسباب ومؤثرات ظهور الصور، والأفكار بطريقة التداعي (٨).

وهناك ثلاث عوامل تنظم التداعي:

أولاً: الذاكرة.

ثانياً: الحواس.

ثالثاً: الخيال.

سأوردها بشيء من الإيجاز.

فالذاكرة قسمها العلماء على ثلاثة أقسام:

مجلة كلية العلوم الإسلامية
تيار الوعي في القصة القرآنية سورة يوسف أنموذجاً

١- ذاكرة المدى القصير، ٢- ذاكرة المدى الطويل، ٣- الذاكرة الحسية: (٩)
وهناك دراسات تبين الآلية التي تمرُّ بها الذاكرة عند جمع المعلومات وعرضها ويمكن تلخيصها بعمليات ثلاث هي:

أ- وضع الشفرة، ب- تخزين المعلومات واسترجاعها، ج- ربط المواد المعرفية السابقة .
ومن هنا يمكن السماح بتشكيل المادة رمزياً حتى يمكن لجهاز التخزين البحث عنها، واسترجاعها عن طريق الاستدعاء (١٠).

وأما عن أثر الحواس في تنظيم التداعي فيمكننا القول: إنَّ حواس الإنسان تتعرض إلى مقدار هائل من المعلومات، وباستمرار، لكنه لا يعير انتباهاً إلا للمعلومات التي تدخل مخزن الأحاسيس. (يعتقد العلماء أن للعين ذاكرة، كما للأذن والأنف غير أن ذاكرة العين هي أقوى المراكز التي تكونت فيها الذاكرة الحسية مع إمكان توافر مخازن حسية أخرى) (١١).

وأما الحديث عن الخيال المعني بتار الوعي فهو خيال نفسي، ويطلق عليه الصورة ، ويختلف عن الخيال الأدبي، وهو عبارة عن (إعادة إنتاج عقلية لذكرى عاطفية أو إدراكية، فعن طريق الصورة بأنواعها الدوقية، والحسية، والشمية تتسع المخيلة وتنقسم على مخيلة ثبوتية، ومتحركة، فالخيال متأث من خلال ربط واحتواء مجموعة من العلاقات والترابطات مثل الذاكرة، والإحساس، والخيال، وبالرغم من استقلالية هذه العلاقات إلا أنها تؤثر في بعضها بنسب متفاوتة) (١٢).

وردت في السورة آيات التداعي الحُرّ (فكرة بفكرة) بوساطة ضمير المتكلم، بعد قصّ رؤيا الملك قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَمْرِي سَعٍ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَعٌ عِجَافٌ وَسَعٍ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرٍ يَأْسَاتُ بِأَيْهَا الْمَلَائِقَةُ فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

ويأتي التداعي على لسان من نجا من الفتيتين اللذين أدخلوا السجن مع يوسف (عليه السلام)؛ ليتكلم الناجي بضمير المتكلم قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِكُمْ بِأَوْلِيهِ فَأَرْسَلُونِي﴾ [يوسف: ٤٥].

نلاحظ هنا جريان الاتصال الممتد في الزمان والمكان بين رؤيا الفتى في السجن مقروناً برؤيا الملك، إذ كانت رؤيا الملك بعد بضع سنين من مكوث يوسف (عليه السلام) في السجن وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ كلام طويل (١٣).

وما يهمننا في قول الفتى هو الاسترجاع، والتذكر، وكيف فسّر يوسف الصديق رؤياه يوم كان في السجن، وجاءت مطابقة لواقع الحال.

الملاحظ هنا أن الذاكرة البعيدة لها أثرٌ في استرجاع المعلومات الذهنية، وربط الأحداث، للوصول إلى الشخصية المفسرة لرؤيا الملك، هذه الذاكرة هي التي أشار إليها العلماء بتفسيرهم للتيار، وما للذاكرة البعيدة والطويلة المدى من قدرة على تذكر المعلومات المطلوبة على وجه السرعة من مؤشرات أو لحظة ما، هذه المعلومات كفيلاً بإحداث التيار (١٤).

كما حصل ليوسف الصديق، وهو يرى أخوته بعد تقادم الزمن، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُهُ وَهَمُّهُ مُكْرِوَنٌ﴾ [يوسف: ٥٨].

إن تذكر يوسف الصديق لملامح أخوته بعد مدة طويلة من مفارقتهم لصورهم التي كانت مألوفة لديه ولدت عنده التداعي؛ لربط صورة بصورة، وإسقاط ما يشاهد أمامه من صورهم على ما يتذكر في مخيلته وصولاً إلى حقيقة أنهم أخوته، فالتيار هنا حدث بفعل الذاكرة، ومخزونها للصور، ومن ثم لنبرة الصوت، وإلى هذا يشير علماء النفس أن نصف تيار الوعي هو مخزون ذاكرة الإنسان (١٥).

وتستمر الذاكرة عند يوسف الصديق باستدعاء المعلومات القديمة وبخاصة بعد أن وُضِعَ الصاع في رحل أخيه مكيدة منه، لطلب الأب، وإذا بالأخوة يتهمونه زوراً بالسرقة قال تعالى:

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَرُمُ يَدِهَا لَهُمْ قَالَ أْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾
[يوسف: ٧٧].

ليبدأ عند يوسف الصديق حديث النجوى الداخلية بصورة غير مباشرة مستعملاً ضمير المخاطب موجهاً إلى أخوته بلغة الأسرار، وعدم البوح بالقول المباشر؛ ليحقق الغاية من مكيدة، فقد الصواع أولاً، ولرفع التهمة عن أخيه ثانياً وتقنية التداعي "فكرة بفكرة" هي التي رسمت الصور الذهنية عند يوسف الصديق.

وهذه الحالة هي التي أشار إليها علماء النفس، ووصفوها بأنها حالة اغتراب نفسي يمرُّ بها الإنسان بوعي أو بدون وعي، وهي تكاد تكون حالة ممتدة عبر الزمن^(١٦). نخلص مما تقدّم أن عامل الزمن هو المحرك الوحيد لفعل التيار.

(إنَّ الذهن ينطلق من لحظة الحاضر التي تمثل التقيد بالواقع، ثم يستمر إلى الماضي خلال الذاكرة، لنقل المعرفة النقية في عالم المثل مما يؤدي إلى نشوء الترابط بين نواحي الزمان، والذات في قرينتين ضمن الانسياب الزماني للحاضر الخداع المموّه ضمن علاقات تشكل تركيب الذاكرة، والماضي المشخّص للفرد)^(١٧).

عامل الزمن هذا هو الذي حرك تيار الوعي، وأنطق يعقوب (عليه السلام) بالبحث عن ابنه بالرغم من انقطاع الأمل بحياته عند أخوته.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَتَذَكَّرُونَ﴾ [يوسف: ٩٤].

ينتهي مشهد تيار الوعي عند يوسف بلحظة لقائه بأبويه وأخوته وتختتم السورة بتداعيات الصور، وربط مقدمها بآخرها في لحظة من لحظات استرجاع يوسف (عليه السلام) للأحداث التي مرّت عليه مظهراً أفضلها، ومخفياً أبشعها وهي لحظة القائه في الجُبّ مستطرداً لنعم الله عليه بإخراجه من السجن، وكيف صار أميناً على خزائن مصر، مذكراً أباه بالرؤيا القديمة يوم كان طفلاً بين إخوة كبار.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجُودًا وَقَالَ يَا أَيُّهَا ابْنُ آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ﴾ [يوسف: ١٠٠].

في الآية الكريمة يختتم التداعي الحر للأفكار والصور، ول يظهر أثر الزمن جلياً في رسم أحداث التيار، وجريانه على لسان الشخصية المحورية في القصة، وله أشار كتاب القصة، والرواية بقولهم: (إن الزمن النفسي يبقى ملاحقاً، لحظات تيار الوعي، وتتحكم به لحظة تدفق التيار عند الشخصية، فتحدد بلحظتها البطء والثبات والسرعة، فهو الحاضن للأفكار واللحظة الذهنية، والأفكار السرمديّة القابعة في النفس الإنسانية، فيسير معها رويداً رويداً، حتى ترسم صورته، والذكريات المنقسمة على نوعين حرّة ومقيدة، فالأولى: لا تتبع الحدث تلقائياً بعد ضغط واعٍ من الفعل الإنساني، والثاني عكسه) (١٨).

إن الجانب الإنساني فضلاً عن نبوة يوسف الصديق، جعلته متفانلاً بما حدث راضياً بقدره، وهذا الجانب موجود في النفس الإنسانية بالرغم من قلته كما بين الباحثون (إن الإنسان كائن خير بطبيعته وإن أتى بشر يكون نتيجة رد فعل لما يواجهه من صعوبات وتحديات واحباطات) (١٩).

تقارب الصوت والمعنى في شواهد تيار الوعي:

استوعبت اللغة العربية التطورات كافة التي طرأت عليها وخضعت لقوانين التطور اللغوي مثل سائر اللغات، سواء أكان التغيير في تركيب المفردات، أم توليدها على وفق نظام صوتي يحكم اللغة، عن طريق الاشتقاق أو التعريب، ولا يزال التطور حاصلًا، فهناك مفردات تهمل، وتترك من الاستعمال اللغوي، وأخرى تظهر، وهكذا كله يحصل نتيجة للمؤثرات البيئية، ويعد القرآن الكريم منبعاً ومصدراً للغويين العرب، (واعتبروه أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة؛ ولذا

وقفوا منه موقفاً موحداً فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه، ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشيء مما أثبت بالمصحف بالنقد والتخطة^(٢٠).

وما يهمننا في هذا المبحث هو بيان التقارب بين الصوت والمعنى في بعض المفردات القرآنية التي وردت في شواهد تيار الوعي لسورة يوسف (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قال يا بتي لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴿يوسف: ٤-٥﴾. يبدأ تيار الوعي من لحظة قص الرؤيا، وذكر المفسرون أن الرؤيا هنا تختلف عن الرؤيا؛ لأن الأولى خاصة بالنام، أما الثانية فهي خاصة باليقظة، ومصدر رأي الخلمية الرؤيا ومصدر البصرية الرؤيا^(٢١).

هذه الرؤيا أول ما ذُكر في السورة على لسان يوسف (عليه السلام)، ثم الفتين اللذين دخلا السجن معه بعدها جاءت رؤيا الملك التي فسرها يوسف الصديق لتكون نجاة له وتمكيناً، وفي حديثنا عن تيار الوعي في الرؤيا، تجدر الإشارة إلى بعض الحالات الطبيعية للوعي التي يمر بها الإنسان مثل: التوهم، والأحلام، والتصور، وغيرها.

أما حالات الوعي المتغيرة، فيمكن إحداثها بوسائل لا حصر لها مثل: التركيز على شيء ما بشدة، التنفس بسرعة، ويؤكد علماء النفس أن الانتباه يقوم بدور مهم في توجيه الوعي، إذ يسمح أو يمنع بعض أنواع الخبرات من دخول دائرة الوعي، فملايين الأحداث تقع في لحظة معينة، لكن القليل منها يبقى في وعينا، فالوعي هو وعي الإنسان بالتجربة الإنسانية التي تشمل الأحاسيس، والذكريات، والمشاعر، والمفاهيم، والتخيلات فضلا على الحدس والبصيرة.

إذا وقفنا في هذه المحتويات سنجدها من أهم العناصر التي يقوم عليها تيار الوعي^(٢٢)، والملاحظ في رؤيا يوسف (عليه السلام)، أنها عرضٌ لصورةٍ واعيةٍ متداخلةٍ مناسبةٍ من حيث الفكرة، والصورة يتشكل منهما تداعياً مترابطاً.

وفي حديثنا عن تقارب الصوت ومعناه، نلاحظ أن ترتيب أصوات كلمة "رؤيا" تعطي صورة قريبة من معناها المعجمي، إذ إن (راء) يخرج عن طريق قفل مجرى الهواء مع فتحه لمرات متتالية، يجاوره حرف همزة المهموس الذي ينسب إلى الجوف، فليس لها موقع من مدارج اللسان كما ينسب الألف إلى تجويف الفم. (٢٣)

يوصلنا هذا الترتيب في مخارج أصوات الكلمة إلى أحرف تجاوزت بالشكل الآتي (راء) لثوي + (همزة) حنجري من أقصى الفم + (ياء) غاري + (الف) مطلق (٢٤).

هذا الترتيب يتقارب، ويتناسب مع معنى (الرؤيا) المعجمي، إذ بدأت الرؤيا من جوف الإنسان، ثم أطلقت خارجاً بعد قصّها.

جاء في اللسان (الرؤيا ما رأيته في منامك وحدثت به عند اليقظة) وقيل: (رؤيا)، وهذا على الإدغام بعد التخفيف البدلي (٢٥).

وما بين الرؤيا وقصّها وهي مدار السورة، لا بد من الوقوف على لفظة (قص) التي تكررت في بداية السورة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقول يعقوب (عليه السلام) ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

نلاحظ أن حرف (الصاد) له دلالة الصوتية إذ التكرار يفيد تقوية المعنى (لعلّ من أبرز التناسق الجمالي في ظواهر الأشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل) (٢٦).

إنّ لفظة "قصص" تجاوز فيها حرف (القاف) مع (الصاد)، وفيه استحسان ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، فعنده العين والقاف لا يدخلان في بناء إلا استحسنتاه، لأنهما من أطلق الحروف وأضخمها جرساً (٢٧).

وقد وصف حرف القاف بأنه (حرف مجهور يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً) (٢٨).

نجد بالمقابل ("الصاد" حرف مهموس يكون أصلاً وبدلاً لا زائداً) (٢٩)، وهو من الأصوات الكاملة التفخيم، المستعملة التي تمنع الإمالة، ولأنه من حروف الصفير نجد أن الحرف ينسل

انسلافاً، فمخرج الحرف من أطباق اللسان إلى ما حاذى الحنك الأعلى بحيث أضعف الاعتماد في موضوعه حتى جرى النفس معه^(٣٠).

فيتجاور الحرف المجهور مع المهموس مع تكرار المهموس بصفير جرى النفس معه اكسب كلمة "قصص" تتابعاً صوتياً ونغماً حسن الموقع مع تقريب لفكرة التناسب بين الصوت، ومعناه إذا علمنا أن أصل كلمة "قصص" (مأخوذة من قص الشعر والصوف)) وكذا القص فهو فعل القاص إذا قص القصص وتتبع معانيها وألفاظها، خبراً بعد خير وسوقه الكلام سوقاً^(٣١).

وفي شاهد آخر لتيار الوعي وفيه تكرر الصوت، وما جاوره في كلمة (حصص)، إذ من المعلوم أن اللغة العربية في أصولها ترجع إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك ألفاظ ثنائية التركيب أو رباعية أو خماسية فإنما الأصل فيها البناء الثلاثي.

فكلمة (حصص) التي تكرر فيها الصوت الأول مع الثالث والثاني مع الرابع. في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّ لِمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

نلاحظ في الآية الكريمة طرائق التداعي الحز من لحظة الخطاب مع النسوة، وعرض القضية؛ ليبدأ عند امرأة العزيز تداعي الموضوعات، والأفكار الذهنية وتبدأ بوصل الأحداث القديمة وربطها بالزمان والمكان بحضور واعٍ، ورسم ما تجمع في الذاكرة من صور وأفكار كانت مستوطنة في الذهن الواعي، لتتكشف النجوى الداخلية وتعلن الحقيقة، "الآن حصص الحق" وهي إحدى تقنيات تيار الوعي المُسمّى "المونولوج الداخلي" والمتأمل في شخصية امرأة العزيز يجد أنها امرأة ذات شخصية قوية ومؤثرة منذ لحظة اختيار يوسف (عليه السلام) ابناً في القصر إلى موقف طلب المتاع منه. فضلاً عن تداركها لموقف الزوج الذي باعته عند الباب، وما أملته عليه من حجة وإقناع بنوع العقوبة، وهو السجن فلا عجب من صراحتها، واعترافها بالذنب بعد أن تردد في صدرها كما أعلنت غاية الصراحة في جراتها، وطلبت اللذة بقولها: (هيت لك).

المتأمل في شخصيتها التي سجلتها السورة وتحليل كلماتها سيتعرف على عالمها النفسي. يقول سيد قطب (رحمه الله): (موقفها الأول الذي أسفر عن نفسها، وهو موقف المرادة في حالة من أنكر حالاتها، وفي دفعه من دفعات غريزتها، والموقف الثاني أشد إنكاراً من الأول، إذ من المعروف أن الإنسان لا يصل به الحد إلى أن يُسفر عن مخبوء نفسه إلى هذا الحد حتى يستوي لديه الإسرار والعلانية إلا أن يكون وصل به التدني الخلقي والنفسي حداً هائلاً، فكيف إذا كان هذا الإنسان امرأة لها زوج ولها مكانة اجتماعية وسياسية^(٣٢)).

وفي الرجوع إلى أصل كلمة (حصص) في معجمات اللغة نجد أن هذه المفردة ترجع في معناها إلى حركة الشيء حتى يستقر ومنه "حصص" أي بيان الحق بعد كتمانها^(٣٣).

وجاء في اللسان (الحصصة) التحريك، والتقلب للشيء والترديد، وقوله (﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ﴾] لما دعا النسوة فبرأن يوسف قالت: لم يبقَ إلا أن يقبلن عليّ بالتقرير فأقرت^(٣٤). وتأتي الحصصة بمعنى المبالغة يقال رجلٌ حصص، إذ بالغ في أمره، ويبدو أن المبالغة جاءت من زيادة (الحاء)، فأصبح بناء الكلمة رباعياً بعد أن كان ثلاثياً وأصلها حص^(٣٥).

ويعد الفراغ من ظاهرة الفعل الرباعي المضعف، نيين ظاهرة تضعيف عين الفعل الرباعي وأثر الصوت في تقوية الدلالة، إذا علمنا أن الأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت الألفاظ قويت معها المعاني، ومتى ضعفت ضعفت معها، ومن ذلك قولهم: كسر وكسر، وقطع وقطع، فهذا التضعيف وهذه الزيادة جاءت لزيادة المعنى، ومما ورد في شواهد تيار الوعي في السورة على لسان النسوة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكاً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّ رَأَيْهِنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وتأتي صيغة (فعل) ويقصد بها التكرير غالباً، والمبالغة أحياناً، وقوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (أي جرحنها، كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعُ يدي، تريد جرحتها)^(٣٦).

ولفظ (قَطَعَ) والزيادة الحاصلة في الكلمة عن طريق التضعيف أوجد زيادة للمعنى، وهذه الحالة كثيرة الورد في اللغة، ذكرها السيوطي بقوله: (جعلوا تكرير العين نحو فَرَحَ وَبَشَّرَ، فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى، وخصوا بذلك العين؛ لأنها أقوى من الفاء واللام) (٣٧)

وفي اللغة أن مادة (ق ط ع) تدلّ على إبانة شيء من شيء آخر، أو فصل شيء عن شيء، فقولك: قطعتَه قطعاً ومقطعاً فانقطع، ومن قال تقطّع، شد للكثرة، ومنه قوله تعالى: وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أَي قَطَعْنَهَا قِطْعاً بَعْدَ قِطْعٍ وَخَدَشْنَهَا خَدَشاً كَثِيراً وَلِذَلِكَ شَدَّدَ. (٣٨)

فالنساء هنا من شدة الدهشة والحيرة أخذن، بتقطيع اليد بدل الفاكهة الموجودة بأيديهن. فسّر علماء النفس هذه الحالة بأن الإنسان عندما يصطدم بصورة أقوى من الصورة الموجودة بداخله المتراكمة من تجارب الماضي، يلجأ إلى تفسيره بالهذيان، أو التشبيه فوق المعتاد بأن يجعل من صورة الإنسان أمامه كأنه ملك أو جن أو شبح. (٣٩)

وهذا هو حال النسوة عند مشاهدة يوسف (عليه السلام) ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾. إن الإرساء الفكري أعطى صورة نمطية عن صورة يوسف عند النسوة مستوحاة من حديث امرأة العزيز عنه، هذه الصورة تلاشت عند مشاهدة الصورة الحقيقية ليوسف (عليه السلام) فصاحب هذا الموقف شرود ذهني أخرج تيار الوعي.

الخاتمة:

- في ختام بحثنا نجد أنه لا بد من ذكر النتائج التي توصل لها البحث في دراسة تيار الوعي في قصة يوسف (عليه السلام)، ومنها:
- ١- تنوع تقنيات التيار في السورة من مناجاة إلى تداعي حر في الأفكار والصور والموضوعات.
 - ٢- تنوعت الرؤى في السورة من رؤيا يوسف (عليه السلام) إلى رؤيا الفتيان إلى رؤيا الملك إلا أن رؤيا يوسف الصديق امتازت من حيث الفكرة والصورة والتداعي المترابط.
 - ٣- تقاربت بعض الكلمات من حيث مخارجها ومعناها المعجمي كما هو حاصل في كلمة (رؤيا) إذ بدأت من جوف الإنسان فكرة ونطقاً.
 - ٤- كان للذاكرة الأثر الكبير في أحداث تيار الوعي.
 - ٥- أحدثت تضعيف عين الفعل الرباعي تقوية الدلالة، كما أحدثه الصوت في كلمة (حصص).
 - ٦- كل زيادة حاصلة نتيجة التضعيف لعين الفعل أوجدت زيادة للمعنى، وهي كثيرة الورود في اللغة.
 - ٧- كان للزمن الأثر البارز في إحداث معظم التيار.

مجلة كلية العلوم الاسلامية
تيار الوعي في القصة القرآنية سورة يوسف أنموذجاً

الهوامش:

- (^١) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ١١٢-١٤٨.
- (^٢) while james was compasing the united states first psychology text book tody, we inextricably associate freud un conscios consist of the inaccessible of the mind that lies and yet significantly deter mind much of consciousness content and activity some of that unconscious content maini festis itself in our work ,beliefs ,and hapits myers,*david g psychology 7th ed hool and mi : worth 2004 print : 57
- (^٣) ينظر: تيار الوعي في رواية الحرب العراقية من (١٩٨٠ - ٢٠٠٠م) لمياء حسين علي، أطروحة دكتوراه ٧-٩.
- (^٤) جماليات اللغة في القصة القصيرة قراءة لتيار الوعي، أحلام حادي، ٣٢.
- (^٥) ينظر: حركة القصة الأوربية، عبد الحميد إبراهيم، ٩٢.
- (^٦) تيار الوعي في الرواية الحديثة، ٥٦.
- (^٧) تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف، ٥١.
- (^٨) ينظر: طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية، رولان داليز، ترجمة حافظ الجمالي، ١٨٣.
- (^٩) علم النفس السيكلوجي، أحمد عكاشة: ١٨٧.
- (^{١٠}) ينظر: مدخل علم النفس، لندال دافيدوف، ترجمة: سيد الطواب: ٣٣٤.
- (^{١١}) ينظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، عبد العزيز القوسي: ٩.
- (^{١٢}) تيار الوعي في رواية الحرب العراقية من ١٩٨٠ - ٢٠٠٠، لمياء حسين: ١٦؛ وينظر: مدخل علم النفس، لندال دافيدوف: ٣٣٥.
- (^{١٣}) ينظر: التفسير الكبير: ١١٩ / ١٨.
- (^{١٤}) ينظر: مدخل علم النفس، دافيدوف لندال، ترجمة: سيد طواب: ٣٤٠.
- (^{١٥}) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٤٠ - ٣٤١.
- (^{١٦}) ينظر: الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، صلاح الدين أحمد: ٤٣.
- (^{١٧}) الزمن في الأدب، ميرهوف هانز، ترجمة: أسعد رزاق: ٤١.
- (^{١٨}) تيار الوعي في رواية الحرب: ٩٣.

مجلة كلية العلوم الاسلامية
تيار الوعي في القصة القرآنية سورة يوسف أنموذجاً

- (١٩) الاغتراب النفسي والاجتماعي: ١٠٢ .
- (٢٠) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر: ١٥ .
- (٢١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبي القاسم جار الله الزمخشري: ٢ / ٤٢٦ ، وينظر: صفوة التفاسير محمد علي الصابوني: ٢ / ٤٠ - ٤١ .
- (٢٢) ينظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: ١ / ٣٩٨ - ٣٩٩ .
- (٢٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٤٧ .
- (٢٤) ينظر: مدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: ١٨١ .
- (٢٥) ينظر: لسان العرب: ٨ / ١٨ .
- (٢٦) جرس الألفاظ، د. ماهر مهدي هلال: ٢٣٩ .
- (٢٧) ينظر: العين: ٦ / ٥٢ .
- (٢٨) سر صناعة الاعراب: ١ / ٢٧٨ .
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ١ / ١٨ .
- (٣٠) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٣١٦ ، وينظر الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، د. حسام البهنساوي: ٧٧ .
- (٣١) ينظر: لسان العرب: ١٦ / ٢٢٠ - ٢٢١ .
- (٣٢) ينظر: التصوير الفني: ١٦١ .
- (٣٣) ينظر: كتاب العين، باب الحاء: ١ / ٣٢٣ .
- (٣٤) لسان العرب: ٥ / ٨٧ .
- (٣٥) ينظر: التفسير الكبير: ٩ / ١٢٣ .
- (٣٦) الكشاف: ٢ / ٤٤٧ .
- (٣٧) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: ١ / ٤٩ .
- (٣٨) ينظر: العين: ٣ / ٤٠٣ ، وينظر لسان العرب: ١٧ / ٢٤ .
- (٣٩) ينظر: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، د. فيصل عباس: ٨٧ .

Summary

This Search reveals the Phenomenon of Stream of Consciousness' to take a rod Ahaahidran Karmic taking of Sarah Yusuf (Peace be upon him) a Model for the Study, Where the Collection of research with the art literary Combines psychological and literary study applied Some Murderous Stream of Consciousness' on the Story Figures, According to the Rhode Witness the.

To hide the Respective Personnel matters what language the word from the Context Anther directing and Photographing the exact Meaning when the.